رؤى استطلاعية حول ثورة الشيعة في العراق

بواسطة منقذ داغر (/ar/experts/mnqdh-daghr) , كارل كالتنثالر (/ar/experts/karl-kaltnthalr)

نوفمبر
متوفر أيضًا باللغات:
English (/policy-analysis/polling-insights-iraqs-shia-revolt)

عن المؤلفين

منقذ داغر (/ar/experts/mnqdh-daghr)

الدكتور منقذ داغر هو مدير منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وعضو مجلس إدارة مؤسسة جالوب الدولية

كارل كالتنثالر (/ar/experts/karl-kaltnthalr)

كارل كالتنثالر هو أستاذ العلوم السياسية ومدير الدراسات الأمنية بجامعة أكرون وهو متخصص في قضايا الأمن الدولي والتطرف العنيف وسياسات الشرق الأوسط وجنوب آسيا وقد عمل كمستشار لوزارة الخارجية الأمريكية والجيش الأمريكي والوكالات الحكومية الأخرى في القضايا المتعلقة بسياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط وجنوب آسيا هو مساهم في منتدي فكرة

تحليل موجز

يشهد العراق احتجاجات تهز صميم نظامه السياسي فقد فاجأت الاحتجاجات المنتشرة في أرجاء البلاد والتي بدأت في 1 تشرين الأول/أكتوبر 2019 العالم بنطاقها وحجمها والرد العنيف الذي واجهه المتظاهرون المسالمون بأغلبيتهم ولعل أكثر ما يثير الدهشة هو تركيبة هؤلاء المتظاهرين الذين يتألفون بأغلبيتهم من شيعة العراق المعارضين لحكومة بلادهم ذات الأكثرية الشيعية أثارت هذه الاحتجاجات الجارية سؤالًا مهمًا: لماذا انقلب الكثيرون من شيعة العراق على حكومة تمثلهم بظاهرها

للإجابة على هذا السؤال لا بدّ للمرء أولًا من أن يفكر في ما ينتظره المواطنون من الحكومة يُنتظر من الحكومات أن تساعد في تأمين الاحتياجات الثلاثة الأولى لمواطنيها: الأمن والعيش الكريم والشعور بالأهمية وتشكل هذه الأخيرة أي الشعور بالأهمية" حاجة الأفراد إلى الشعور بأن الحكومة تهتم لهم وتقدّرهم وكلما ترسخ في فكر المرء أن حكومته لا تقدم هذه العناصر الأساسية الثلاثة بالمستوى المطلوب فقد يزداد الناس سخطًا وغضبًا

فقد شيعة العراق ثقتهم بحكومتهم لأنها فشلت في تلبية احتياجاتهم الأساسية في أي من هذه المجالات الثلاث كان من المفترض بعد سقوط صدام حسين ونشأة نموذج الحكم الجديد ذي الغالبية الشيعية أن يتحسن وضع العراقيين الشيعة إلى حد كبير وقد توقع الشيعة باعتبارهم الأغلبية في دولة العراق الحديثة بأن من المنطقي أن يحظوا بكلمة الفصل في الإدارة العراقية بدلًا من سيطرة المجتمع العربي السني التاريخية على العراق .وقد كان هذا هو الوضع السائد منذ العصر العثماني وبالتالي عندما سقط حكم صدام حسين توقع العراقيون الشيعة نهاية منتظرة منذ وقت طويل للهيمنة السنية ورأيًا أكثر في السياسات العراقية

ويضاف إلى هذه التوقعات أن الكثيرين من الشباب الشيعة حاربوا تنظيم "الدولة الإسلامية" عندما هدد بالسيطرة على بغداد في العام 2014 وذلك عبر ميليشيات شيعية أدّت في النهاية دورًا محوريًا في هزيمة التنظيم كقوة قتالية تم الاعتراف بها رسمياً في العراق وبسبب التضحيات التي قدمها الكثيرون من الشيعة من أجل التخلص من الكارثة الداعشية توقعوا أن تتحسن أحوالهم المعيشية وأوضاعهم في المجتمع العراقي ولكن لم تحقق الحكومة أياً من هذه التوقعات

وبالتالي فقد الشيعة وكذلك الأكراد ولو بدرجة اقل الأمل في الحصول على دولة عراقية جديدة ديمقراطية تجسد اصواتهم السياسية أو تحسن مستوى معيشتهم بطرق ملموسة. ولكن بدلًا من تأسيس هذا العراق المنشود اعتمد النظام السياسي ذو الأغلبية الشيعية الجديد نظامًا سياسيًا ينخره الفساد لا يراعي المواطن العراقي العادي ولا يستطيع تأمين خدمات أساسية مثل المياه النظيفة والكهرباء فضلًا عن التعليم والرعاية الصحية. ويضاف إلى هذه الخيبات الواقع الاقتصادي العائم بالفوضى والبطالة المنتشرة في كل مكان وبضمنهم الشباب الشيعة.

لم تحدث هذه الظروف بين ليلة وضحاها. وبتدهور الأوضاع ازدادت مشاعر الإحباط والغضب على مرّ الوقت. ويظهر هذا بوضوح في استطلاعات الرأي التي أجرتها الشركة المستقلة للبحوث في العراق وهي شركة استطلاع عراقية معروفة. ففي حين عبّر 58 بالمئة من العراقيين الشيعة في العام 2012 عن ثقتهم بأن الحكومة العراقية ستحسن الأوضاع في البلاد قلت النسبة الى 40 في المئة من الشيعة في العام 2018. وفي المقابل وبعد أن كان 35 بالمئة فقط من السنة يعتقد أن بإمكان الحكومة تحسين أوضاعهم في العام 2012 أرتفعت هذه النسبة في الواقع إلى 50 في المئة في العام 2018. تؤكد هذه الأرقام أن التشاؤم ازداد بين العراقيين الشيعة تجاه النظام السياسي الذي وعد بالكثير ولم يقدّم سوى القليل في حين أصبح العراقيون السنّة أكثر تفاؤلًا بعد هزيمة "داعش".

وما يشير بوضوح أيضًا إلى المشاعر العامة هو مستوى الرضى عن الحياة بحسب إفادات شخصية. فبعد الغزو الأمريكي عام 2003 لم يكن العراقيون الشيعة والسنة على حدّ سواء راضين عن حياتهم ولكن بحلول العام 2005 أفاد الشيعة بنسبة 66 في المئة بأنهم سعداء بحياتهم في حين كان 60 في المئة من السنة يشعرون بذلك. استمرت هذه النسب بالازدياد. ففي العام 2009 كان الشيعة بنسبة 81 في المئة راضين عن حياتهم وأعرب السنة بنسبة 65 في المئة عن حياة سعيدة. ولكن الوضع انقلب منذ ذلك الحين. ففي العام 2018 عندما سئل الشيعة عن رأيهم أفادوا بنسبة 65 في المئة بأنهم سعداء بحياتهم وهو تراجع كبير مقارنة بما كانت عليه في العام 2005 وأفاد السنة بنسبة 75 في المئة بأنهم سعداء في حياتهم. يثبت هذا السؤال أن الشيعة أصبحوا أكثر إحباطاً وتشاؤماً مما كانوا عليه أثناء الانتخابات الديمقراطية العراقية الأولى.

أن ما يزيد من عدم الرضا عن الحياة بين شيعة العراق هو الوضع الاقتصادي والسياسي الصعب الذي يواجهونه. ففي العام 2004 ما كان يهم الناس بالدرجة الأولى هو الأمن والبنية التحتية والبطالة وبهذا الترتيب. وخلال ذلك العام أفادالشيعة بنسبة 72 في المئة بأن الوضع الأمني أكثر ما يشغلهم. لكن الحال تغير كثيرا حيث تبين أن الفساد هو أكبر المشاغل في العام 2019 وهو ما أفاد به 47 بالمئة من الشيعة تليها نسبة 32 في المئة تشير إلى أن البطالة هي الشاغل الرئيسي ونسبة 21 في المئة قالوا بأن الوضع الأمني يشكّل أكبر مخاوفهم. ومع تلاشي الخطرالذي شكله تنظيم "الدولة الإسلامية" ("داعش") خلال العامين 2014 و2015 يزداد سخط العراقيين الآن تجاه عجز النظام السياسي عن تأمين حكم نزيه أو وظائف مناسبة.

لقد أثّرت الأحداث السابقة بشكل كبير على تنامي المظاهرات الاحتجاجية. وما يزيد حدة غضب الشيعة تجاه حكومتهم هو الرد العنيف الذي واجهه المحتجون السلميون في شوارع المدن العراقية. فمنذ أن بدأت الاحتجاجات في شهر تشرين الأول/أكتوبر قتلت الحكومة والقوات المؤيدة لها أكثر من 300 محتج في حين أصيب أكثر من عشرة ألف محتج. وتعرض المحتجون في الغالب للعنف القمعي والهادف إلى ترويع الناس من النزول إلى الشوارع. وتزداد مشاعر الغضب تجاه الحكومة حدة بسبب انتشار قناصين يطلقون الرصاص الحيّ على متظاهرين لا يشكلون تهديداً على الحكومة أو المدنيين. تدفع هذه القوة الجائرة المزيد من العراقيين إلى النزول إلى الشوارع بوجه حكومة لا تحترمهم ولم تعد تمثلهم برأيهم.

ويستهدف الغضب الشعبي في الشارع الشيعي إيران أيضًا. يزداد شيعة العراق اعتقاداً بأن إيران تتدخل بالسياسة العراقية بما يخدم مصلحتها. وعلاوةً على ذلك يرون أن إيران تدعم الحكومة العراقية الحالية والحملة العنيفة على المجموعات المعارضة. هذا وأدت الميليشيات الشيعية العراقية المدعومة من إيران دورًا محوريًا في العنف الذي تمت ممارسته ضد المتظاهرين وباتت تشكل الآن الجهة الأشد دعما للحكومة العراقية الحالية. ولكن هذا ليس بجديد فقد ازدادت الآراء المناهضة لإيران إلى حد كبير في السنوات الخمس الفائتة. ففي العام 2014 أيّد العراقيون الشيعة إيران بنسبة 86 في المئة في حين انخفضت هذه النسبة في العام 2019 إلى 41 في المئة فقط.

ما هي مطالب شيعة العراق إذًا لا يطالب هؤلاء المحتجون بوقف العنف تجاههم واستقالة الحكومة الحالية فحسب بل يريدون أيضًا تغيير هيكل النظام السياسي. ففي حين صُمم النظام السياسي في العراق ما بعد 2003 بشكل يجعله شاملا لكى لا يترك أي مجموعات فرعية محتملة متضررة من السياسة إلا أن الحكومات التي تأسست بعد ذلك أدت الى شلل سياسي كامل وشجعت شبكات المحسوبيات والفساد التي باتت منتشرة في العراق.

وقد استخدم البرلمانيون مقاعدهم للاستفادة من خزائن الدولة وتعزيز قوتهم السياسية وإثراء أنفسهم هذا التصرف الشائن بين أعضاء الطبقة السياسية العراقية الحالية هو ما يؤجج غضب مواطني العراق تجاه السياسيين

أن الأمر يتطلب شجاعة كبيرة وتركيز أقوى على الوحدة الوطنية بين الجهات السياسية العراقية لتجنب حدوث كارثة في البلاد ما لم يحدث هذا من غير المستبعد أن يدفع الغضب بين أغلبية أبناء الطائفة الشيعية في العراق إلى اللجوء إلى وسائل متطرفة لتصحيح الوضع السياسي الواهي في البلاد وكما تبين في السابق لن تنصب زعزعة الأوضاع في العراق في مصلحة العراقيين أو المنطقة أو الولايات المتحدة ❖

موصى به

BRIEF ANALYSIS

Bennett’s Bahrain Visit Further Invigorates Israel-Gulf Diplomacy

/ /

◆

Simon Henderson

(/policy-analysis/bennetts-bahrain-visit-further-invigorates-israel-gulf-diplomacy)

BRIEF ANALYSIS

Libya’s Renewed Legitimacy Crisis

/ /

◆

Ben Fishman

(/policy-analysis/libyas-renewed-legitimacy-crisis)

تحليل موجز

مواجهة أزمة الغذاء في سوريا

فبراير

◆

عشتار الشامي

(ar/policy-analysis/mwajht-azmt-alghdha-fy-swrya/)